

مَرَوْنَةُ الْإِشْتِقَاقِ

فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ

وَدَلَالَتُهُ الْحَضَارِيَّةِ

لِلأستاذ / محمد رشاد خليل

... الأمة العربية التي شرفها الله بحمل رسالة الإسلام ، وتبليغها إلى الناس ، أمة لم يكشف النقاب عن حقيقتها بعد ، وذلك بسبب عوامل تاريخية قديمة وحديثة ساعدت على طمس هذه الحقيقة ، وهي عوامل كثيرة ليس هنا مجال بحثها . ولكن كشف حقيقة هذه الأمة أصبح الآن ضرورة لازمة بصرف النظر عن الظروف والملازمات التي طمسَتْ حقيقة هذه الأمة .

وكشف هذه الحقيقة مسئولية إسلامية في المقام الأول ، لأن فهم الإسلام على الوجه الصحيح يستلزم فهم الأمة التي حملته وبلغته ، وفهم الظروف التي أحاطت بها ، وفهم مناهجها في التفكير والنظر ، وطرائقها في الحياة ، لأن القرآن نزل بِلُغَةِ هذه الأمة ، وعلى أساس من مصطلحاتها ، ولأن شريعة الإسلام قامت على أساس من مناهج هذه الأمة في النظر والاستدلال ، كما قال بذلك سلفنا الصالح ، يقول الإمام الشافعي : وما جهل الناس

واختلفوا إلا يتركهم لسان العرب وميلهم الى لسان أرسططاليس ^(١) . ويعتق السبوطي على هذا القول بعد ايراده بقوله « وأشار الشافعي بذلك الى ما حدث في زمن المأمون من القول بخلق القرآن ، ونفى الرؤية ، وغير ذلك من البدع ، وان سببا الجهل بالعربية ... والجامع لجميع ذلك قوله : لسان العرب الجارى عليه نصوص القرآن والسنة وتخريج ما ورد فيها على لسان يونان ومنطق أرسططاليس ، الذى هو فى حيز ، ولسان العرب فى حيز ، ولم يتزل القرآن ولا أنت السنة الا على مصطلح العرب ومذاهبهم فى الماوراء والتخاطب ، والاحتجاج والاستدلال ، لا على مصطلح اليونان ، ولكل قوم لغة واصطلاح » ^(٢) من أجل ذلك ذهب جمهور علماء اصول الدين والفقه الى ضرورة اقامة مناهج البحث واستنباط الأحكام على أساس من اصطلاح العرب واسلوبهم فى النظر والتفكير ، وعلى هذا الساس أصبحت أبحاث اللغة قسما رئيسيا فى جميع مباحث الأصول : الى أن جاء بعض المتأخرين فانحرفوا عن هذا الاتجاه ، وأرادوا أن يجعلوا من المنطق اليونانى أساسا لمناهج البحث فى الإسلام ، وكانت هذه بداية التصديق لأركان الثقافة العربية الإسلامية الشائعة ، وكان من مضاعفات ذلك أن يعتمد الأصوليون المتأخرون على المنطق اليونانى اعتمادا كاملا ، حتى لقد جعلوه أساسا فى مباحث الدراسات الأصولية والفقهية ، مما أدى إلى جمود الفكر ، وركاكة الأساليب ، وطست الازمة وعمت حين اعتمد التحويون واللغويون هذا المنطق أساسا للدراسات النحوية واللغوية ^(٣) .

وكشف حقيقة الامة العربية هو فى المقام الثانى مسئولية علمية لأن مهمة العلم الأساسية هى كشف الحقائق وبيانها باعتبارها أن الحقائق الصحيحة هى الأساس السليم للمعرفة الإنسانية الصحيحة ، ولأن كان الكشف عن حقائق التاريخ الإنسانى هاما بعصره النظر عن الأمم والأجناس فان كشف حقيقة الامة العربية من الناحية الإنسانية الخالصة أولى من غيرها لان دور هذه الأمة ومسئوليتها الإنسانية هو أكبر وأخطر الادوار فى تاريخ الإنسانية ، لأن المسئولية التى وكلت إليها وهى الهداية ، هى أخطر المسئوليات الإنسانية على الإطلاق ، لقد اتجهت الأبحاث التاريخية بىوى مغرض بصفة أساسية الى تاريخ الحضارات الغربية من افرقية ورومانية ومسيحية غربية .. وعلى هامش هذه الحضارات اتجه البحث اتجاها مغرضا الى الحضارات الهندية والبابلية والمصرية .. وذلك لابرار المظاهر الوثنية التى تمجد الانسان وتؤلفه حسب مفاهيم الحضارة الغربية الحديثة فى دور الانسان وقيمته ، هذا بينما أعرض البحث عامدا عن الحضارة الإنسانية الحقيقية التى تتمثل فى حقيقة الامة العربية وفى اسهامها الإنسانى فى تحمل التكليف الربانى بشعائنه التى تنوء بحملها الجبال والذى يستهدف من خلال رسالات الإسلام التى نواترت فى الأمة العربية وغضمت برسالة محمد صلى الله عليه وسلم الى وضع الانسان فى موضعه الصحيح من خلق الله دون افراط او تفريط ، والى تحقيق كرامة الانسان من خلال العبودية الخفية للإله الواحد الأحد صاحب الخلق والامر ، والذى خلق الانسان وعلمه البيان ، ونشأ فيه من روحه وفضلته على العالمين .

وكشف هذه الحقيقة هو فى المقام الثالث مسئولية قومية عربية لان من واجب كل قوم أن يعرفوا على حقيقة وجودهم من خلال النظر الصحيح الى اصول تاريخهم ، حتى يكون

عملهم من اجل يومهم وغدهم قائما على اساس من الاستمرار التاريخي الوثيق . ومن المؤلم ان تكون غالبية الذين يرفعون شعار القومية العربية من اكثر الناس جهلا بحقيقة هذه الامة وتكوينها ودورها ، وان يكون هذا الجهل سببا في الاضطراب والتخبط في ضلالات الجاهليات العرقية الحديثة التي أغرقت العالم بطوفانها واحرقته بنيرانها ، ولو انهم بحثوا لعرفوا ان خصائص الامة العربية لا ترجع — حسب المفهوم العرقي الحديث — الى خصائص عرقي تقوم على الدم او اللون . وانما ترجع في الأصل الى خصائص انسانية هبأ الله لها أسباب الرقي والتماء والازدهار والعطاء في ظروف بيئة وانسانية وتاريخية استخلصت من الانسان العربي خير ما في الإنسان عامة ، وجعلت منه قدوة للناس ومثلا مضروبيا على خصوصية الامكانيات الانسانية العامة التي منحها الله لجميع البشر على قدم المساواة ، وذلك حتى يتسابق الناس — كل الناس — على هدى هذه القدوة البشرية في استكشاف خير ما في عقولهم وقلوبهم من قدرات وامكانيات ، مما استودعه الله في أصل فطرتهم بحكم خلقهم وتكوينهم ، بتوجيه هداية الوحي ، وبمعونة الله تعالى لهم بدعي كتبه ورسله ، وهذا هو ما نفهمه من معنى قوله تعالى « وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول شهيدا عليكم .. » البقرة : ١٤٣ .

ولقد كان من أبرز العوامل الكثيرة التي عملت على طمس حقيقة الأمة العربية غير ما أشرنا اليه من الغرض والهوى انصراف الباحثين الى التعرف على حقيقة هذه الامة من خلال كتب الاخبار وهي قليلة الغناء لما فيها من قصور واضطراب ، ولضعف قيمتها التاريخية بسبب عدم الاطمئنان الى كثير مما تزويه عن العرب قبل الاسلام ، يضاف الى ذلك القصور والنهم القاصر لتوعية المصادر التاريخية والحضارية ، والذي ينصرف عنه كثير من الباحثين الى الوثائق والمصادر المادية من اثار العمارة او الزراعة او الفنون او النقوش وما شابه ذلك ، والعرب بحكم ظروفهم التاريخية — خاصة عرب الحجاز ونجد — وهم في الاساس بدو رحل لم يكن نشاطهم الحضاري في هذا الباب الذي ارتبط بقيام المجتمعات الزراعية في اودية الانهار ، او بقيام المجتمعات التجارية على شواطئ البحار .

لذلك غفل هؤلاء المؤرخون عن المصادر الحقيقية لهذه الامة والتي تمثل اساسا في اللغة وهي دليل العقل وبيان وترجمته .

واللغة أصدق مفتاح للكشف عن حقائق الامة ، ولقد كانت العربية خاصة أصدق اللغات في الكشف عن حقيقة أهلها ، سواء في مفرداتها او تراكيبها او اساليبها او مصطلحاتها او مضامينها .. ولقد حفظ الله تعالى هذه اللغة في كتابه العزيز فحفظ لنا بذلك أوثق المصادر في حقيقة هذه الامة ، كما حفظها في كلام رسوله صلى الله عليه وسلم أفصح العرب وأبلغهم ، كما حفظها في كلام أصحابه رضوان الله عليهم وهم الجليل الخالص من العرب الذين يمثلون أصدق تمثيل خصائص هذه الامة ومناهجها في التفكير وطرائقها في الحياة ، كما حفظها في هذه البقية الباقية من شعر العرب وكلامهم في جاهليتهم بما فيه من علم وحكمة وعقل وخلق وبلاغة وبيان ، ثم في هذه الموسوعة الهائلة من كلام الاعراب التي امتلأت بها معاجم اللغة وكتبها ، والاعراب هم مادة هذه الامة ، وأصلها الدال عليها

وصورتها الناطقة بها .

ولكننا نعتزف بأن استخلاص المحققين من هذه المصادر أمر صعب لأن القراءة العربية هذه المصادر لم تعد متيسرة بعد أن قطعت العجمة والفلسفة ومنطق اليونان عليه الطريق ، حتى أصبحنا حين نقرأ هذه المصادر من وراء هذه الحجب نحرف الكلم عن مواضعه . والتبصير بلغة العرب في العصر الحديث لتقطعه قواطع العجمة والفلسفة ومنطق اليونان الذي غلب على العربية لغة وبلاغة ونحو ، وغلب على علوم الاسلام — عند المتأخرين — عقيدة وفقها ، وتسرب حتى الى تفسير كتاب الله ، هذا شأن العالم باللغة ، لما بالث بالقرن الحديث الذي لا يعرف من طرائق النظر التاريخي الا النظر في كتب الاخبار أو معالم الآثار المادية ، وليست له دراية بعلوم العربية والعلوم الإسلامية ، وهي المصادر الحقيقية ذات الحجية التاريخية والحضارية للأمة العربية .. ؟ !

إن الذي يريد استعمال المصادر اللغوية للتأريخ العربي عليه أن يتحسس بأساليب هذه اللغة في مصادرها الأساسية ، وأن يتحسس بالعلوم الإسلامية التي ارتبطت بها . وذلك يحتاج الى اعداد شاق ومران طويل على قراءة النصوص العربية وتتبعها في مفرداتها وتراكيبها وأساليبها حتى يستخرج منها دلالتها التاريخية والحضارية وذلك يستلزم معايشة هذه اللغة في مصادرها الاصلية معايشة طويلة تمكن صاحبها من أن يحس بهذه اللغة إحساس أهلها الاولين بها ، وأن يدبرها في عقله ولسانه كما كانوا يدبرونها في عقولهم وألسنتهم ، وأن يقع بها على معانيها الحقيقية في عقولهم ونفوسهم ، وذلك مطلب عسير ، لأن أساليب التعليم التي حولت اللغة العربية من الدربة والممارسة الى القاعدة المنطقية قد حطمت السبلقة العربية في عقول أهلها ، ثم جاء هجر العربية كلياً أو جزئياً في مراحل التعليم العلماني الغربي الذين حل محل التعليم الإسلامي العربي في البلاد العربية ليفضي على البقية الباقية من صلة العرب بلغتهم ، ولتجعلهم يتكلمون لغات اجنبية مختلفة — تركيا ودلالة — وان كانت مكتوبة — شكلاً — بحروف عربية .

ولئن كنت قد تصدبت هذا البحث الوعر فليس معنى هذا اني ادعى لنفسي انها قد نبتت له على الشروط التي ذكرتها ، فوالله الذي لا اله الا هو ، لصبي من صبيان الأعراب الذين كانوا يلعبون في مراعع اعراب هذه الامة يوادبها ، كان أقدر مني على امتلاك ناصبة هذه اللغة والتصرف فيها .. ، على ان ذلك الاقرار بالعجز لا يجوز ان يصرفنا عن المحاولة في حدود الممكن ، مع الاجتهاد في الاستعداد ، لأن هذا العمل من القرائض التي نلزمنا بها مسئوليتنا في هذه الامة ، ولعل التنبيه الى الطريق يغري أجيالاً من الباحثين بالسير فيه ، ولعل القدر الذي يتاح استكشافه من الحقائق يعين على تصحيح الكثير من الأخطاء والاهام والأباطيل التي سدت الطريق على التعرف السليم على نوعية هذه الأمة وقيمها ومكانتها .. وعليه فاني أقدم بمحاولة على هذا الطريق من خلال دراسة الاشتقاق ودلالته ، نعرض بها أسلوباً في استخدام اللغة كأداة للبحث التاريخي الحضاري .

معنى الاشتقاق :

جاء في شرح التسهيل : الاشتقاق أخذ صيغة من اخرى مع اتفاقها معنى ومادة

أصلية ، وهى تركيب لها ، يُدلّلُ بالثانية على معنى الأصل ، بزيادة مفيدة ، لأجلها اختلفا حروفاً أو هيئة ، كضارب من ضرب ، وحلّيل من حلّل .^(١)
طريقته :

وطريق معرفته تقلب تصاريف الكلمة ، حتى يرجع منها الى صيغة هى أصل الصّيع دلالة اطراد او حروفاً غالباً ، كضرب فانه دال على مطلق الضرب فقط ، أما ضارب ، ومضروب ، ويضرب واضرب ، فكلها أكثر دلالة وأكثر حروفاً ، وضرب الماضى مساو حروفاً وأكثر دلالة ، وكلّها مشتركة فى « ض ر ب » وفى هيئة تركيبها وهذا هو الاشتقاق الأصغر المحجّب به ،^(٢) وهذه طريقة البصريين فى رد الاشتقاق الى المصدر أما الكوفيون الذين يردون الاشتقاق الى الفعل الماضى فهم يجعلون أصل صيغة الاشتقاق هو (ضرب) بالفتح التى هى الفعل الماضى وليس (ضرب) بالسكون وهو المصدر .

هناك اشتقاق آخر يسمى الاشتقاق الأكبر ابتدعه أبو الفتح ابن جنى وليس معتمداً فى اللغة وهو الذى يحتفظ فيه بالمادة دون الهيئة مثل (ق و ل) و (و ل ق) ، وقد املت العرب هذا النوع من الاشتقاق لذلك فحن لا نعول عليه ولا ندخله فى موضوع بحثنا ، والاشتقاق الأصغر الذى عرفته العرب هو أساس موضوع بحثنا ، وهو الذى بنيت عليه مادة اللغة العربية كلها ، وهو فى نفس الوقت يكشف لنا عن المستوى العقلى من خلال مجموعة من العمليات العقلية الكثيرة ذات الدلالة البالغة على الاقدار والتفوق العقلى مثل : الملاحظة الجمع ، الترتيب ، المقارنة ، الاستنتاج ، الخيال ، التمييز ، ذقة الاحساس ، سلامة الادراك ، القدرة على التجريد والجناس ، وإدراك العلاقات .. وكل هذه العمليات العقلية تقع عليها من خلال دراستنا للاشتقاق الأصغر ، على الصورة العلمية التى تم بها أدق العمليات العلمية التحريية .

المنطق اليونانى واللغة العربية

ولكننا لا نستطيع أن نتصور هذه العلاقات إلا اذا نظرنا للاشتقاق نظرة لغوية ، مستبعدين جهد الطاقة النظرية المنطقية للغة العربية والا اذا نظرنا للاشتقاق من وجهة نظر تاريخية فى ضوء النصوص الموجودة فعلاً ، لا من وجهة نظر منطقية ، فالموازين الصرفية والقواعد النحوية قد وضعت بعد الإسلام متأثرة بالمنطق اليونانى ، ومهما كان من اعتماد هذه الموازين والقواعد على النصوص ، فقد غلب التصور المنطقى على عقلية الذين وضعوا هذه القواعد ، وأقاموا هذه الموازين .. ولقد أدرك علماء السلف خطر المنطق اليونانى على العربية والإسلام ، ورأوا فيه منطفاً خاصاً بلغة قوم هم اليونان ، وهو يستمد مصطلحاته وتصويراته من هذه التى تختلف اختلافاً بيناً عن اللغة العربية التى لها منطقها الخاص ، والتى نزل القرآن وجاء الإسلام على أساس من مصطلحاتها ، لذلك رفضه جمهور علماء المسلمين وهاجموه ، يقول ابن تيمية : « يقولون : إن المنطق « ميزان العقلية » ومراعاته « تعصم الذهن عن أن يغلط فى فكره » ... وليس الأمر كذلك فإن العلوم العقلية تعلم بما فطر الله عليه بنى آدم من أسباب الإدراك ، لا تنف على ميزان وضعى لشخص معين ، ولا يُقَلَّد فى العقبليات ... وجهاهير العقلاء من جميع الأمم يعرفون الحقائق من غير تعلم منهم لوضع

أرسطو ، وهم إذا تدبروا أنفسهم وجدوا أنفسهم تعلم حقائق الأشياء بدون هذه الضيافة
الوضعية ... ثم إن هذه الصناعة — زعموا — أنها تفيد تعريف حقائق الأشياء ، ولا تعرف
الأشياء ، وكلا هذين غلط ، ^(٩)

ولنا هنا في مجال استعراض النكبة التي حلت بالعربية والإسلام بسبب المنطق
اليوناني ، وإنما نكتفي فقط بما يختص من ذلك بموضوعنا ، وسنرى نموذجاً لذلك من
اختلاف الكوفيين والبصريين حول أصل الاشتقاق .

أراء الكوفيين والبصريين في أصل الاشتقاق :

اختلف الكوفيون والبصريون حول أصل الاشتقاق هل هو الفعل أو المصدر ، وهذا
ملخص آرائهم : ^(١٠)
رأي الكوفيين :

ذهب الكوفيون إلى أن أصل الاشتقاق هو الفعل ، واحتجوا لرأيهم بما يأتي :

- ١ — أن المصدر يصح لصحة الفعل ويعتل لاعتلاله والمصدر فرع .
 - ٢ — أن الفعل يعمل في المصدر .
 - ٣ — أن المصدر يذكر تأكيداً للفعل .
 - ٤ — أن المصدر لا يتصور معناه ما لم يكن فعل فاعل .
 - ٥ — أن المصدر إنما سمي مصدراً لا لصدور الفعل عنه كما يقول البصريون ، وإنما لأنه
مصدر عنه ، فدل ذلك على أن الفعل أصل والمصدر فرع لأنه تابع له فيها سبق .
- رأي البصريين :**

وذهب البصريون إلى أن أصل الاشتقاق هو المصدر ، واحتجوا لرأيهم بما يأتي :

- ١ — أن المصدر يدل على زمان مطلق ، والفعل يدل على زمان معين .
 - ٢ — أن المصدر اسم ، والاسم يقوم بنفسه ويستغنى عن الفعل . أما الفعل فإنه لا يقوم
بنفسه ويحتاج إلى الاسم .
 - ٣ — أن الفعل يصفه يدل على شئين : الحدث ، والزمان الفصل ، والمصدر يدل
على شيء واحد وهو الحدث .
 - ٤ — أن المصدر له مثال واحد نحو الضرب والقتل ، والفعل له أمثلة مختلفة .
 - ٥ — أن الفعل يدل بصيغته على ما يدل عليه المصدر وليس العكس .
 - ٦ — أن المصدر لا يجرى على سنن في القياس ولو كان مشتقاً من الفعل لما اختلف في
أسماء الفاعلين والمفعولين .
 - ٧ — أن المصدر لو كان مشتقاً من الفعل لدل على ما في الفعل من الحدث والزمان
وعلى معنى ثالث .
 - ٨ — أن المصدر لو كان مشتقاً من الفعل لوجب حذف الهزة في مثل اكرم إكراماً ،
كما حذف في اسم الفاعل والمفعول مكرم ومكرم .
 - ٩ — أن الأصل في تسمية المصدر هو الموضوع الذي يصدر عنه .
- وكل هذا دليل على أن المصدر أصل والفعل فرع .

نقد أدلة البصريين والكوفيين :

وأول ما نلاحظه على أدلة الفريقين أنها أدلة مصنوعة صناعة منطقية ، إلا أننا نلاحظ أن أدلة الكوفيين أقل إغراقاً في الصناعة المنطقية من أدلة البصريين الذين كانوا أكثر تأثراً بالمنطق اليوناني من الكوفيين ، ولقد أصبح الكوفيون لأنرائهم بحجة قوية لأنها حجة تقوم على الاستمرار لا على المنطق وهي قولهم أن المصدر لا يتصور معناه ما لم يكن فعل فاعل ، وهي حجة تهدم حجة البصريين المنطقية وهي حجبتهم الأساسية والتي تقول بأن المصدر أصل لأنه يدل على زمان مطلق ، بينما الفعل يدل على زمان مقيد ، وذلك لأن إطلاق زمان المصدر يجعله معها بصورة لا تجعله صالحاً للاشتقاق في العربية حسب مفهوم البصريين لعلاقة المصدر بالزمان ، والعرب لا يعرفون هذا النوع من المطلقات المبهمة التي اغتصت بها العقيدة الاغريقية وارتبط بها منطقهم وفلسفتهم ارتباطاً أفسد الفكر الاغريقي كما أفسد فكر الساني ارتبط به واعتمد عليه .

المطلق الاغريقي في نظر ابن تيمية :

ولقد تبين ابن تيمية الى استحالة هذا المطلق الاغريقي وهاجمه هجوماً عنيفاً بسبب نتائج السبئية في الفلسفة والدين على السواء ، ونفى أن يكون هناك « وجود مطلق بشرط الإطلاق ، أو بشرط سلب الأمور الثبوتية أو لا بشرط مما يعلم بصريح العقل انتفاؤه في الخارج وإنما يوجد في الذهن ، وهذا مما قرروه في منطقهم اليوناني ، وبينوا أن المطلق بشرط الإطلاق كإنسان مطلق بشرط الإطلاق ، وحيوان مطلق بشرط الإطلاق ، وجسم مطلق بشرط الإطلاق ، ووجود مطلق بشرط الإطلاق : لا يكون إلا في الأذهان دون الأعيان » (١٨)

تصحيح مذهب البصريين في الزمن المطلق :

وعليه يمكن القول بأنه هناك زمن مطلق بشرط الإطلاق لأن هذا النوع من الزمن لا وجود لها في الخارج وإنما هو موجود في الأذهان فقط لأن « المفردات — كما يقول ابن تيمية — هي الكليات التي تجرد عنها النفس عن الأعيان الشخصية .. » (١٩) « والمطلقات لا تكون مطلقة إلا في الأذهان .. فإذا قدرت في النفس جسماً حساساً متحركاً بالإرادة نامقاً : كان هذا المتصور في الذهن مركباً من هذه الأمور ، وإن قدرت في النفس حيواناً نامقاً كان مركباً من هذا وهذا ، وإن قدرت حيواناً صاهلاً كان مركباً من هذا وهذا . وإن قلت : إن الحقائق الموجودة في الخارج مركبة من هذه الصور الذهنية » كان هذا معلوم الفساد بالضرورة . وإن قلت : إن هذه مطابقة لها وصادقة عليها ، فهذا يكون صحيحاً إذا كان ما في النفس علماً لا جهلاً » (٢٠) وعليه فانا نستطيع القول بأن الزمن المطلق لا وجود له إلا في الذهن أما في الخارج فالزمن هو هذه الحقيقة المعينة التي تتمثل في الاستمرار والحركة . كذلك يمكن القول بأن المصدر لا يدل على زمان وإنما هو موجود ذهني تكون من ملاحظة أعيان الفعل في الخارج مثل ضرب بالفتح ويضرب وضارب ومضروب فالمصدر وهو الضرب اسم مجرد من هذه الأفعال المعينة في الخارج لا اسماً إلا على زمان مطلق ، ومن هنا يجوز الاشتقاق من المصدر كما يجوز الاشتقاق من الفعل لا على اعتبار أنه دال على زمان

مطلق وإنما على اعتبار أنه اسم مجرد من أفعال معينة في الخارج ، فليزمن ذلك أن يكون الفعل هو الأصل المعين للمصدر كما قال الكوفيون وليس العكس .
وعليه يمكن القول بأن الادعاء بأن الفعل وحده هو أصل الاشتقاق أو أن المصدر وحده هو أصل الاشتقاق ، إنما هو تحكم محض لا يقوم عليه دليل من واقع اللغة نفسها وهو الواقع الذي سنعرض له بعد حين .

أراء حديثة في أصل الاشتقاق :

بدأ الجدل حول أصل الاشتقاق في العربية مرة أخرى على يد المشرقين ، وغيرهم من الباحثين العرب ، وهالك ملخص آرائهم في هذه المسألة .

وأى ولفنسون :

ذهب ولفنسون مذهب الكوفيين في القول بأن الاشتقاق لا يكون إلا من الفعل وأسس رأيه هذا على دراسة مقارنة في اللغات فقال : « أن من خصائص اللغات السامية أن أغلب الكلمات مشتقة من أصل ثلاثي وثنائي وهذا الأصل فعل يضاف إلى أوله أو آخره حرف أو أكثر .

نشأ من اشتقاق الكلمات من أصل هو فعل أن سادت العقيدة الفعلية — إذا صح هذا الاستعمال — على اللغات السامية أي أن لأغلب الكلمات في هذه اللغات مظهراً فعلياً حتى في الأسماء الجامعة والالفاظ الدخيلة من اللغات الأجنبية ، فقد أخذت هذه الكلمات مظهراً فعلياً أيضاً . وقد رأى بعض علماء العربية أن المصدر الإسمي هو الأصل الذي يشتق منه أصل كل الكلمات والصيغ ولكن هذا الرأي خطأ — في رأينا — لأنه يجعل أصل الاشتقاق مخالفاً لاصله في جميع لغواتها السامية .

وقد تسرب هذا الرأي إلى هؤلاء العلماء من الفرس الذين بحثوا في اللغة العربية بعقيدتهم الأرية والأصل في الاشتقاق عند الآريين أن يكون من مصدر اسمي .

أما في اللغات السامية فالفعل كل شيء فنه تتكون الجملة ، ولم يتفصح الفعل للإسم والضمير بل نجد الضمير مستنداً إلى الفعل ومرتبطة به ارتباطاً وثيقاً .

وعلى كل حال فتظيرة العقيدة في اللغات السامية هي نظيرتنا الخاصة إذ لم يشر إليها أحد من علماء الأفرنج ، ^(١١)

نقد فؤاد حسنين لادعاء ولفنسون :

وقد نقد فؤاد حسنين ادعاء ولفنسون بأنه صاحب اكتشاف (النظرية الفعلية) في الاشتقاق العربي فقال « أن هذا الرأي قد شغل العلماء وقتاً طويلاً فبعضهم أفرد له الأبحاث العديدة في مجالات المشرقين ، والبعض الآخر لم يفتح بذلك فكتب فيه الكتب الكثيرة وكان ذلك في القرن التاسع عشر ، فالنظرية العقلية ليست وليدة القرن العشرين وليست من نتائج قريحتك (بقصد ولفنسون) بل هي ثمار القرن التاسع عشر في أوروبا ونتيجة من نتائج أبحاث جمهرة من أكابر مستشرقى ألمانيا ، ^(١٢)

وأى كرملى وزيدان :

ذهب استاس كرملى إلى القول « بأن الثنائية Bilitteroliome هي

النظرية التي تقول بأن الأصول في العربية — وكذلك في لغاتها السامية — ليست هي اللفاظ ذوات الحروف الثلاثة ، بل ذوات الحرفين إذ من شأن الثلاثيات أن ترد الثلاثيات ، (١٢) .

وقد دافع جرجي زيدان عن هذه النظرية فقال : « الا لفاظ المانعة (ويقصد بها المحدودة الدلالة) الدالة على معنى في نفسها ، يعود معظمها بالاستقراء الى اصول ثنائية (أحادية المقطع) تحاكي أصواتا طبيعية [نسب ابن جني هذا القول الى بعض علماء اللغة] . فقال وذهب بعضهم الى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعة ، كدوى الريح ، وحينئذ الرعد ... [١٣] ، وتشتمل هذه الألفاظ على الاسم والفعل وما يشتق منها ، واللغويون يردون كلا من الاسم والفعل الى اصول معظمها ثلاثية وبعضها رباعية . ولا يردون هذه الأصول قابلة الرد الى أقل من ذلك وعندى أنها قابلة للرد ولو بعد العناء » (١٤) .

رأى مراد كامل :

أيد مراد كامل رأى كرمل وزيدان بقوله « أن أقدم الأسماء صيغة في اللغات السامية هي الأسماء الثنائية ، وقد حافظت العربية على بنائها الأصل في كثير منها غير أنها اشتقت من بعضها صيغا جديدة » (١٥) لكنه غير مقتنع بأن الأسماء الثنائية هي وحدها الأصل لذلك يقول « وهناك أسماء ثلاثية أصلية نجدها مشتركة في اللغات السامية وهي على الأخص أسماء الأشياء المادية المتطورة الملموسة منها للحيوان : الفم والذنب والأبيل والثور والحمار والكلب

والحزير والنسر والذباب ، ومنها للنبات : العنب والتوم والفناء والكون ، ومنها : الأعضاء والجسم والرأس والعين والأذن والأنف والسن والشعر والشفة والظفر والركبة والذنب والقرن واللب والكلية والكثف ، ومنها لغير ذلك : السماء والشمس والأرض والحقل والجر والبيت والعمود والقوس والحبل والإتاء .. وهذه الأسماء كلها لم تشتق من الأفعال والدليل على ذلك :

١ — أنه في كثير منها لا يكاد معناها أن يحتمل الاشتقاق من فعل أصلا ، فمن أى فعل تشتق أسماء كالذنب والقدم والرأس والأرض ؟ ولماذا نفترض أن يكون هناك فعل أسبق من هذه الأسماء وأماها ؟ .

٢ — أن بعض هذه الأسماء تخالف الأفعال التي يحمل معناها الاشتقاق منها مخالفة تامة مثل : الأذن فعلها السمع ، وكذلك العين وفعلها رأى .

٣ — لا نجد صلة بين أوزان هذه الأسماء ومعانيها ، حيث أننا نرى الأسماء المتقاربة في المعنى متقاربة في الوزن نحو : الثور والحمار ، أو العين والأذن ، ولو اشتقت من أفعال لكان لكل معنى وزن واحد بنيت عليه الأسماء أو أوزان قليلة ، (١٦) .

ويذهب مراد كامل الى أن « بعض الصيغ الرباعية مثل فعلل قديمة جدا في اللغات السامية ومن أوزانها : عكبر وعقرب وأرنب وهي سامية الأصل .. وإن كان لا يمنع أن تكون الباء في عقرب وأرنب علامة الحقت للدلالة على معنى كل منها » (١٧) .

كما يذهب الى ان الاشتقاق يقع كذلك من الافعال فيقول « من اسماء الاشياء المادية ما اشتق من الافعال مثال ذلك اسماء الآلة والمكان وهو سمي الأصل ، ووزن مفعال للآلة أصله فعال ثم الحقت به الميم ، وفعال أقدم وزن لاسم الآلة في اللغات السامية ومنه : سنان ونطاق ولسان » (١٩٩)

ثم يذهب في نهاية الامر الى الاشتقاق بالنسبة للعربية بالغ المرونة حيث يقول « وأكثر اللغات السامية أسكت عن اشتقاق الاسماء الجديدة في زمان قديم جدا إلا على القليل من الاوزان كالمصادر والانساب فأصبحت جملة أسمائها محدودة ، لا يزداد عليها إلا القليل في المدة الطويلة ، فاشتقاق الاسماء فيها ميت أو يكاد . وداومت اللغة العربية تشتق الاسماء الجديدة الكثيرة على الاوزان المتنوعة . وجاز للشاعر ان يرتجل استخدامهما ، وكانت جملة الاسماء محدودة قابلة للزيادة والتقصان في كل وقت ووجد عدد من الأسماء في الواقع وان لم يوجد في الاستعمال ثم جمع اللغويون الكلمات المروية في الشعر عند العرب وضبطوا معانيها » (٢٠٠)

ومما يجدر ملاحظته أن آراء مراد كامل في الاشتقاق ومرونته هي أدق الآراء انطباقا على حقيقة المادة المعجبة للغة العربية على نحو ما ستعرض له الآن . نظرة معجبة الى مصادر الاشتقاق :

حين ننظر الى المادة اللغوية بعيدا عن جدل التحوين نجد ان أصل الاشتقاق في العربية مرن الى أقصى درجات المرونة ، كما نجد ان الاشتقاق ليس عملية منتظمة تنطلق من قواعد تحكية مجردة . وإنما هو عملية عقلية علمية تقوم على ملاحظة المناسبة بين المشتق والمشتق منه بصرف النظر عن نوع المشتق . حتى اننا لا نكاد نجد قيما يمنع العرب من الاشتقاق من أية مادة معجبة ، كما اننا لا نكاد نجد مادة معجبة لم تكن عندهم صالحة كأصل للاشتقاق ، سواء أكانت هذه المادة اسما أو فعلا أو حرفا (٢٠١)

الاشتقاق في العربية يقع في الاسماء والافعال والحروف :

ولسنا نبالغ حين نقول ان تحركات البصريين والكوفيين في أصل الاشتقاق كانت بلا معنى ولا تمثل واقع اللغة التي لم يعرف أصحابها هذه القواعد المنطقية التي وضعها اللغوات وحاولوا صب اللغة في قوالبها . فنحن نرى أصل الاشتقاق في المادة المعجبة لا يتفحص هذه القواعد ، وإنما يفتشى على اساس ملاحظة المناسبة بين المشتق والمشتق منه . سواء أكان المشتق من اسما أو فعلا أو حرفا . وذلك على النحو الآتي :

١ — الاشتقاق من الاسماء :

في المادة المعجبة لا يتفحص الاشتقاق من الاسماء لقاعدة معينة فكل اسم قابل للاشتقاق . وان كان ذلك لا يعني ان كل اسم يجب ان يشتق منه ، وإنما تلك مسألة متروكة للحاجة وظروف الاستعمال .

أ — الاشتقاق من أسماء العدد وأسماء الأزمنة : فمن أسماء العدد : ثبته أثبتته ثبنا ، صرت معه ثانيا ، وثبت الشيء بالتثليل : جعلته اثنين (المصباح المنير) ومن أسماء الأزمنة : الاصيل : الوقت بعد العصر الى المغرب . وأصلنا :

دخلفا في الاصطلاح (لسان العرب)

ب - الاشتقاق من أسماء الأعيان :

١ - الأمانة حرم . وحرم بقوله دحوى في حرم (حرم) حرمه حرمته .
في حبة أو لاسرب . دحوى في حرم (حرم) شرق . حبة صلب الشمس .
وشرقو دحوى شرق . وشرق شرق (حرم)

٢ - أمية ، قديما . فليس قبة من مصر تسمى قلا . وتسمى به . وتسمى به .
أما بخلف . أو جوار . أو ولا . (حرم)

٣ - أسماء الأكارب : لأب . نوت ونيت . حرت . وتوت . دوة . حرت له .
أو . ويقال ما له أب يوتوه . أي بعدوه ويريه . ويثبت . أي حدث . (اللسان)

٤ - أعصاء لحسم . شق حرب من أمه . لأعصاء . أمه . أما تصريحا أو ضمنا ومن
هذه لأعصاء شفقو المصدر . وجميع مشتقات . ومن ذلك

الأيام . رضى منك . ورضه . رضى . ورضه تحت إبطه (اللسان) .
الأذن . عصم . أصم . وأذنه . ذن . فهو يذون . أصحاب ذنه عن ما يفرط في
لأعصاء . وذنه ذنه أي حرم ذنه . ويقال ذنت منى . ذن له ذن . إذا شمت له
(اللسان) .

٥ - من حيوان الذئب . من حيوان يعبر فيه حث ودهاء . وهو شبه كلب في
الخبر . وذؤب . رجل ذئبة . وذئب . وذئب . حث . ذئب . حث . ودهاء . وذئب
الرجل . فرع من الذئب . وذئب . فرعته (حرم)

من أشباه مختلفة .
حيث . خود . بسرو . حرب . أو عير . بذل . حش . فلا . أي جمع جروش .
وامتجاشه : أي طلب منه جيشا (اللسان) .

حقل . رباط . وحل . نبي . حلا . حله . وحل (حرم) .
الحضاء . كل ما وضع في نف غير يندبه . وحضه . حضه . حضه . حضه .
وحضه . كلاما جمع عن نفع . وكذلك د حر نفع حر غير عبق . ووضع عليه
المخطاط (اللسان)

هذا قبل من كثير فصد . مع التبدل على ن الاشتقاق من لاسمه . على خلاف كثير
حد . ولا يقع تحت حصر . ولا يتصور . تكون هذه الأسماء . بعضها مشتقة عن فعل . و
مصدر . لأنه لا يوجد موزن . ولا ضيق وصحة في الاشتقاق يمكن أن يوضع ه
أقبة معروفة . كم هو حد في لاسمه . مشتقة من مصدر . أو لاسمه .
وكم يفرق ن يكون الاشتقاق قد وقع في لاسمه . دون . تكون هذه الأسماء
بعضها مشتقة من مصدر . أو فعل . ن العرب قد عرفت . أعجوبة ثم شفقو .
مصدر . وأفعلا . ومشتقة . وذات عدده كثير حد . ولا يعقل أن يكونوا قد شفقو من أفعال
ومصادر هذه الأسماء في مصادرها الأعجوبة .

امدادح للاشتقاق من أسماء أعجمية

لذَّيْه و بَرَّهه خذال . و سى أو بوسى " معرب منحن بساء كلامهم . و رحل مدره و لا فعل به كثير مدره حكاة نور بدقاب و لم يقو ذرهه . قال ابن جنى : نكه د و جد سم منقول و جعل حصل . و درخت خذارى . مدرت نصارت على شكب مدره فعلا و بركب عجب . قد س حى و لم فوه درخت خذارى . فبس من فوه ترخل مدرهه (بس)

عقل . اسم معروف لا يست بارس نعر و قد كثر محته فى كلامهم و قد فعل الطعام و الشراب .. و ثوب منقول د كوت درت و شه من سندر منقول و صبره . و حبر منقول كى هه المنقول . فهو جدى بس . و شرب منقول أى يمدح مدح عقل (اللسان) .

الاشتقاق من الاسم الرباعى

و قد خبر سحويون لاشتقاق من اسم رباعى و وقوعه هه بقول حماد لذي أبو عبد الله محمد بن مائت فى كتاب تهليل يؤخذ و تكبير بقصد فى النحو (عقل) د مرد رباعى منقول لارد و مستند على كثيرة و قد يصح من سم رباعى " و بقول سبويه فى هذا باب ثبيل مرس العرب من سب لا يه فى الاسم و يحدث و غير مرید . و هه حنفه من سب ثلاثة كى حنفه فى عقل د بئى . و حروف من سب لا يه يكون على مثا عقل . ف يكون فى الاسم و يحدث . و لا حنا . حو جعفر . و غير . و حدث . و الصفة سبب . و حنحو و عئلى . و رعئى . و سه . و عئلى

و هه الحو لأنت بوسه فى فعلا كى عئرة لأ يه . هه د بيل لا تری انت حبت قت حوئت . و بضررت . و سئقت حريش عئى لأ يه .^(١)

٢ - الاشتقاق من الحروف :

وقع لاشتقاق فى امداح من احروف على اختلافها . سواء كانت حروف المعانى أو حروفا هجائية .

أ - حروف المعانى : من ذلك :

سوف كسة معده شمس و ناخبر . قد سبويه سوف كلمة تعبس فيها م يكن بعد لا تری انت تقو سوفه . د صت به مره بعد مرة . سوف فعل (اللسان) . و انت تری ل هه حرف مدحه هه فعل سوف و يمكن نصريتها بسوف تسويد و هو مسوف ..

بم قدو بعه ارحل . د قد به عئى . و بم كفوئت بلى . لا أن بم فى حووب لوجب . و هى موقوفة لأخر . لأى حرف مدحه معى . و فى اسرين هه ل و حدم و وعد

ربكه حفا + قانو بم . و عئى لرحل قد له عئى . فبعه بدلت لاً . و انعه به أى قال له نعم (اللسان)

ب حروف هجاء من دلت
حرف هاء رجل ثناء على فعلان . وفيه ثنائية يزداد في هاء د نكم وثنائية
حكاية الصوت (اللسان)

حرف لاء انشاء على فعلان يكثر تردد هاء د نكم . وثنائية حسنة في
اللسان . وعنده انشاء على الكلام . وقد دلت . ورجل دلت وطاء (بند وبقصر) . و امرأة
فأداة دلت حيث انشاء في الكلام كـ هاء نعب على لسان فتقول دلت فلان في
كلامه فأداة . وقد يردد هاء لزيد في لاء . وهو أن يردد في لاء د نكم
(اللسان)

الاشتقاق من الأفعال :

لسا في حجة ر ذكر أشفة من لاشتقاق في فعل فهو شهر أفعال لاشتقاق . وقد
ادعى الكرمون أن الفعل وحده هو أصل لاشتقاق . وقد عتب ربه حتى أصبح هو
القاعدة التي قامت عليها جوارين مصرية على حواء مصرية

وأما في أصل الاشتقاق :

واستاد في هذا المعنى المعنى بمكب القول بأن لاشتقاق في بحرية هو مشتق
شديد شوية . حيث لا يمكن حصره في أصل واحد أو صيغة في قاعدة . وهذا الذي
ذهب إليه قد ذهب إليه بعض المحدثين كما سبق ذكره . بل قد ذهب إليه المحدثين . فقد
ذكر سببوا في قول حاشية من المحدثين المعربين وهو أن نكم مشتق . وبسبب ذلك في
سببوا وترجع ^{١٢٠} وهذا لا يكون إلا باعتبار أن كل نكم صريح كإصل لاشتقاق
ولدى بده هو أن لاشتقاق في بحرية لا يرجع إلى سبب وراء مسألة معنى بين مشتق
والمشتق منه . فيكون اشتق منه سبب أو فعلا . حرفا لا دخل له في بحرية لاشتقاق فيها .
فليس هذا أصل وفتح . وإنما هذا مشتق ومشتق منه حسب المسألة . وكما يقول ثناء حاش
لاشتقاق ردت على أن آخرها لاهته بأنه في حروفه لأصله مسألة له في المعنى ^{١٢١}

الدلالة الحضارية لمرونة الاشتقاق

ولكن ما الذي تعب مرونة الاشتقاق في بحرية من الوحدة الحضارية ^{١٢٢}
للاحاطة على هذا السؤال عيب أن نخل عقولنا من تصليل مصطلحات بحرية ولدى

بمثال

أولا في هذا المعنى المعنى والعرب بين لغة وأصناف

وثانيا في تقسيم المعنى لشعوب لأسببه ر مدنية ومتحصنة

وثالثا في تصنيف العرب قبل الإسلام حصة عرب حجاز وعد في شعوب
الدنية على سبب من تقسيم المعنى لسبق لشعوب

ورابعا في أمماهم المتحصنة لمداء والخفارة . وتحلف والتقدم . والرفق والتأخر
أي ذا معناه ذلك . وحينما فيه صوف بهذه حواجر صناعية بين وبين الفهم الحقيقي
عشر والتاريخ والخفارات بوجه عام وبب وبين الأمة العربية التي حملت أمانة الإسلام
بوجه خاص

صاحبه سوف نرى انهم نجيب بقصة هائلة لغة عربية لا كذبة لتعبير فقط . و قد
كفيلة حصارة على نفس من لافته

قد حصل تعسفي بين لغة واصحابها و قد يعرف بعض بعض لا يعين تفهيد سوف
يشي له متحدة يحصل . لان لغة في لغة . في هي ترجمان يكون فيها . و كان عجب .
ولا يريد . حوص في قضية سوف و وضع في لغة . و هي حوص في تقديمه . فذلك
حديث صوبل من هذا محله و قد يكون انه قد ثبت باحير صادق عن رب الخدين .
حدث في صفة كات نجيب من الله . و قد نرى . و علم انه لاشد كنه . انقرة ٣١ .
وقال : خلق الانسان علمه اليان . حسن ١٠٣ .

ما غير لغوي و شعبي . و قد دد و قد دد . و صوره و برونه . و شعبي آخر
حيث و مونا . انما هو من اصحابه و عتوه و صروفه . قد ما ذكره عبد الله
نوبه : نبحث و لا نستره و يدانية . يكون عدد واحد و في . في لاه اندية تصعبه
لتكثير . صحفه بدت نكر نكم بدت على عتات و الامور خرفية . و تعدد و نقل
لا تعدد بدت على مدعي بكفة . و غير دلاء مفرد من بدت و عتد هكتر في الخصة
و حسن و لا يه . و هو بقوعد و نكد من نصريف و لا شفي و ربط عتد حصة .
و انما بعضه بعض . و يهني من لغة فلا ينشع لأكثر من ضرورت حيدة . و في كثر
من لاه اندية يعكس في لغة من مصدر الاصغر و لا يه ما ندر به عتبات
صافين من مصدره و قصور . حتى لا نكد و حدة تني عن معنى و صبح
و لن . و قد ثبت دلت دلت لاه حبل من تبية في مفرده سفل بيوت
و عتد به لغة عرب و لا سلام فدا . و حقوق د شعت و سعت تصور في شعت
عبارتي . و قد صفت يكون و حارت و عتد و كان صاحب كنه بحوص لعقل
و لن . و قد ما يهيب هل سفل بيوت)

ما عن تعسيف شعوب و يدانية و حصارية و برفق هد تنظيم اصلا . لاه مني
عل حصل من وهو يكون بصير مفهوم لاحد في حديث و لن يذهب و لا سان
معد تصور مده حقة تقتضي عرب دنة برقي تقتضيه مده من حدة و حدة بصورة
تدله حصة لا حصة في لاه حاش مدير . و يكر هد مفهوم حار صادق عن رب
حاش و لن يكر في صورة دعة . و عتد سلام هو و نشر حقة لله بدية و مبح
فيه من روحه . و عتد الأسماء و هداه الى الحق ...

و لن لا روي حار صادق عن له شحلات اسجدين . و لا عتد ان يكون هد تنظيم هو
الاصل ستر يوم في مدرسات شرجية و خفارية . لأن هذه المدرسات في عتقت
حبيبه من مفهوم تصور لن يه من لاه مده حاشة من ككر و يؤمن دونا
بالله صاحب الخلق و الأمر

و كسدين . على تعسيف من رب مبح حوص في مراه . مبح ستر في عكس
لانده لن يه مبح تصور يوم في تعسيف حركة شرج و لن لاه و حقة لاه

يعرف ان هذه المصطلحات ليست تيرابلا من حكم حديد يتحتم عليها التسليم به وإنما هي مصطلحات ورثناها من الفلسفة الإغريقية قديما ومن فكر برني حديث . وتجديد هذه المصطلحات يقوم على تصورات تستلزم واقع المجتمعات الغربية وظروفها ، ولم يأت تجديد هذه المصطلحات ببحث ستره حقبى لأنشط الحياة الإنسانية ونشاطها ، ولم يأت من دراسة كمنه حركة التاريخ لاسيما في عروقه المختلفة . كما كانت من قواعد عامة مطردة تصبح لتتصبن في كل لعروف ومع كل شعوب

المفهوم الرقى فيكري مثلا في اصطلاح العرب تقدم بحصر في عسفة وتفتنفسين وفلسفة في شكلها . والى كانت تستند في حدود في تفكير لاسيما . مصطلحا الخاص هي صيغة وصيغة خاصة بالاعريق . وتتدرب مع روح شدة عقل الذي أتيح له ممارسة . على أساسه من نشاط العقل مد قدمه بمصير قد أخذ هذه حواف . وأصبح له نمط خاص تعب عنه لغة اصطلاحات مختلفة

ويكفي دلالة على هذا اصطلاح وحصوله . يكون فيسوف الذي عرفه تاريخ العرب في هذا اصطلاح ارقى عقلا من السى الذي عرفه تاريخ . وهذا مرفوض ديب وعقلا اما مصطلح التقدم واحسن الحصر فيكاد يرتبط في الاصطلاح حديث ربه محاولات الطريقة لتوسيعه . تقدم امدى . ومن بعده . سابق وراء تصديق هذا مصطلح صواب ان يدافع عن تاريخه ربه عرف تقدم امدى . فذلك يدافع وان كان يمثل حقيقة تاريخية الا انه يؤدي الى نتائج شديدة حصرية لأنه يقدم لا بداع امدى على ارقى لاجلاني لدى يمثل لاسيما في تقدم احصاري . وعلى يعطى على عرب امدى ميره لا تعدده ميره اخرى . من شأن لاسيما الأعلى وراء هذا المفهوم . وعلى أنه هنا الى . لا سكر قيمة لرمي امدى في اطار اجلاني معين . ولا يقلل من قيمته . يجرى دون وعلى ان احتقر الحواف لاكثر قيمة في تاريخ

ان اد طلق هذا اصطلاح مفهومه . على ان تاريخا سوف سنك رسول غة صل الله عليه وسلم وهو خير خلق . وسنت صحنه وهو خير خلق من بشر في عدد متحدين حصريا . وحدث لاهم عاشوا حياة مادية سببه حايه من شكك و لتعبد في . ككل والمشرق وسكن وانسكن وحرفن حياة مختلفة . مع . اصطلاح من مفهوم خاص للحصرية متحد من هذا المنهج دليلا على سمو رسول صل الله عليه وسلم وصحنه . وعلى ليلهم وعظيم خلقهم .

اما هذا المفهوم لاسيما في تاريخ الاسلام وحده . والى سى ان تاريخ الاسباب كلها ان مبرر بدلت قصة اجلانية قدرته وحده لاسبابية غير تاريخه وفي جميع عصوره وفي مختلف دبابه . وهي قيمة أرهه في عرض كذب وشبهات وتدوت لا عن جعل . ولا عن عمر عن ستمه . ولكن دراك لقيمته الحقيقية وهي كغير وروايات . هو أنقى وهذه أعلى مرتبة لادراكه . والقدرة على صسط النفس وهي رقى مرتبة الاخلاق ايضا ..

ح - حب - يستعد ثقتي في بعضه ونفي فقد هدم بعضه فحكر بحري وحاصرة
 عربية . ب - بعد ذلك خصب من أسر مصصحات . نتي استعدت عقوق حارب فكر
 الحرب وحصاره . هذه مصصحات نتي لا تفتل مقيد - - - - - شاملا مدس - لا فكر
 واعتقدت وحصرت كمي برعمون . وكي تفتل وحدت مصر حصة لا فكر
 واعتقدت وحصرت تفتل عقوق مستعجب . وقد توفى حق و حادته هي شعق
 بالحرين أو وفى في بعض شجرة . وو حرر - رأ - لاشبه عن حفتها . وحري
 بعد على حفتها . ورب هد هد - هر نتي تشه حة حرب . وندى تفتل فكر
 وحصرة وحدتي - برحدت غير هد هد مظهر عدم تحت ركاه مصصحات .
 كي تظهر لأثر ددية حب وكام التراب .

تقدير الباحثين المحدثين لمروية الاشتقاق في العربية

نلاحظ في صيد هذه لأعرب نجمة لاشتقاق في العربية كي تعرف - - - - - حرب
 معوية مقارنه في العصر حديث بقول عدم حساب - - - - - نصبة نتي سي عبيد لاشتقاق أو
 حرب مصري فكلمة بكشف - عن حصة بكاد نمرود عربية - - - - - وتدخل نصبة في
 الحدود كي تدخل لامنة نتي فكيف سي نور عبيد - - - - - نصيب - صرف نصبة
 من غير لاستدانة نمتي . وهذه حصة من حوص حة عربية . وكي كات في لغات

السامية أيضا ، مثال ذلك :

أنا	افعلت	فعل
نحن	افعلنا	فعلنا
أنت	افعلت	تفعل
أنت	افعلت	تفعلن
أنا	افعلني	تفعلنا
أنتم	افعلتم	تفعلون
أنتم	افعلتم	تفعلن
هو	افعل	يفعل
هي	افعلت	تفعل
هم	افعلوا	يفعلون
هن	افعلن	يفعلن

ومثل هذا يمكن - - - - - مع كل صيغة من صيغ الأفعال . فكون نتيجة ذلك تصرفنا في
 دحل (مورفيم) لأفعال . حسب خلاف لحدوث شخصية نتي بغيرها عن (مورفيم)
 آخر . هو أنكم و خض و نجه . مع (مورفيم) لأفرد و شبه و جمع و كند
 الصرف - نصبة . كالكند لأصوات و كند و كند و كند و كند و كند . هو
 استكند عرصة التحيل . ولا فليت هذه لا مفهومات مبهجة . لا تعبيرات بامعة
 وعن لا تنكم صوت . ولا حروص . (ولا مورفيم) . ولا صيد . وكي تنكم حملا

مفيدة مركبة من هذه الاجزاء التحليلية ، التي يعتبر النظر المنهجي مسئولا عن اكثرها حيث يتلحقها باعتبارها وسائل نفسية ، وادوات لتناول مادة اللغة تناولاً يبنى على منهج خاص . فالصيغة جزء من المنهج لا من اللغة نفسها ، انك تقول « خرج محمد بالاسم » فتكلم عن شرط اللغة ، ولا تقول « فعل مُفَعَّلٌ بِالْفَعْلِ » لأن هذا ليس من اللغة .

واللغة العربية معطوبة جدا بوجود هذه الصيغ الصرفية ، لأن هذه الصيغ تصلح لان تستخدم اداة من ادوات الكشف عن الحدود بين الكلمات في السياق ، ونشكو معظم لغات العالم من عدم وجود مثل هذا الاساس الذي يمكن به ان تحدد الكلمات .

والياحثون في لغات غير لغاتهم جديدة عليهم يعانون النصب والمشقة في سبيل هذا التحديد فيسدون الى كل الوسائل الممكنة يستخدمونها في هذا الغرض ، ويظهر القسر والعنف في استخدامها واضحا ، فأما اتخاذ الصيغة الصرفية أداة من أدوات خلق الحدود بين الكلمات في السياق ، فيزة اللغة العربية من كبريات مميزات التي تفتخر بها .

ونساعد الصيغة في الاعم الاغلب على تحديد الباب ايضا ، ذلك لان معناها الوظيفي هو (المورفيم) و (المورفيم) نفسه تعبير عن الباب ، فكان الباب احد معاني الصيغة غير المباشرة ، ومعنى هذا الكلام اننا اذا اخذنا « فاعل » فستجد كل ما على مثالها داخل في باب الفعل الماضي الذي يدل غالبا على المشاركة ، ونقول غالبا احترازا من « ساقى » ، فالصيغة هنا دلت على النسب الى قسم من اقسام الكلام ، وهذه ميزة من مميزات اللغة العربية ايضا واعتماد هذه الدلالة هي ما يسميه علماء اللغة بالتحديد الجرامايطي : « Gramatical designation »

المزايا اللغوية هي مزايا عقلية :

ولكن من أين جاءت هذه المزايا اللغوية في الاشتقاق وفي اللغة العربية ، هل هذه المزايا تابعة من اللغة ذاتها ، ولازمة عنها ؟ ..

لو قلنا بذلك لوقعنا فيما يقع فيه المتحدثون في الله ، حين يرددون مزايا الطبيعة الى الطبيعة ذاتها ، ويقولون انها لازمة عنها بمقتضى قوانين ذاتية ، ففسروا الماء — كما قال شاعرنا — بعد الجهد بالماء ، وظنوا انهم بذلك قد حلوا معضلة الكون ، وهم لم يزد الامور الا خبالا ، فأثبوا بذلك خيال عقوفهم — وهم يظنون في انفسهم انهم عباقرة الدنيا — ذلك ان اى عاقل سلم عقله من الخبال لا يد وان يرد الآثار الى (فاعل ، مريد ، عالم ، قادر) ، فان قالوا نحن نقول بالفاعل المريد العالم القادر ، ونقول : هو الطبيعة ، قلنا هم زدتم الامور خبالا لانكم قد جعلتم الاثر علة ذاته ، وهذا هو عين الخبال .

ولما كانت اللغة أثرا ليس علة نفسه وليس فعلا مريدا عالما قادرا بذاته لزم من ذلك ان يكون معلولا لفاعل خارج عنه ، ولما كان العقل المبين كما خلقه الله تعالى هو علة اللغة كما ان الله الفعال المريد العالم القادر هو علة العالم والانسان ، لزم من ذلك أن تكون اللغة وآثارها معلولة بصانعها ومبدعها وهو عقل الانسان الذي منحه الله القدرة على الابداع والاختراع ، ولا يعنى هذا مضاهاة قدرة الله بقدرة البشر . تعالى الله عن ذلك ، وانما يعنى القول بان الله الذي يملك قدرة لا تحددها الحدود قد منح الانسان — فضلا منه وكرما — ان

قدرة محدودة وإرادة محدودة وعلمًا محدودًا . يستطيع من بواسطتها ان يصنع وان يفعل في حدود هذه القدرة الممنوعة من الله .

ومن ثم فمزية الاشتقاق في اللغة جاءت من مزية العقل الذي تصرف بها ، والمزبة او المزاي العقلية التي يترجم عنها الاشتقاق في اللغة العربية تتمثل في مرونة عقلية عظيمة ، وطاقة واسعة من الخيال القادر على ادراك مختلف العلاقات الدقيقة ، والمناسبات المتنوعة بين الاشياء والاشياء ، وبين الاشياء والمعاني ، وبين المعاني والمعاني ، ثم مقدرة على التخيير الدقيق بين درجات هذه القروق ، دون اضطراب او خلط ، ثم استيعابها جميعا في وقت واحد دون قصور او اعياء ، او ارهاق ، مع ارهاق بالغ في الحس يلصح ما خفى ، وما دق من القروق والدلالات ، والاشارات ، هذا الارهاق البالغ في الحس هو الذي ولد هذه القدرة الهائلة على التجريد ، الذي يجتزل التفاصيل ، ويجرد الاشياء من خصوصياتها ليردها جميعا الى اصول عامة مشتركة لا تنصب فيها النسب والابعاد . هذه القدرات هي التي وسعت حدود الاشتقاق الى أبعد مدى ، وفتحت الباب لهذه الصيغ الصيغ المفردة التي لا يحتاج الاشتقاق فيها لكى يتغير المعنى الى اكثر من زيادة : حركة لتعطينا كلمة جديدة مثل : عَلم ، وعَلم .

أو مادة مثل : طَالَب وطَلَب ، او زيادتها معا مثل : ضارب وضَرْب .
أو نقصان مثل : فَرَس وقرس ، او نقصان مادة مثل : ثَبَت وثبات .
أو نقصانها معا مثل : نَزَا ونزوان ، او نقصان حركة وزيادة مادة مثل : غَضِبِي وغَضَب .

أو نقص مادة وزيادة حركة مثل : حرم وحرمان ، او تغاير حركتين مثل : بطَّيرَ وبطَّرا .
أو نقصان حركة وزيادة اخرى وحرف مثل : اضرب من الضرب .
أو نقصان مادة وزيادة اخرى مثل : راضع من الرضاعة ... (٣٧)
عن طريق هذه التغيرات البسيطة امكن اشتقاق مئات الألوف من الصيغ . وفتح باب القياس لتنتشر العربية في نحوها وازدهارها على نفس الاساس غير الاجيال والعصور . وفي مختلف الظروف ، وعن طريق هذه الامكانيات الهائلة اتسعت العربية للقرآن والاسلام وختلفت العلوم والفنون والصناعات ، وما زالت قادرة على ان تتسع أبد الدهر لكل جديد من المعارف .

وما كان هذا الاتساع في اللغة الا كما قال ابن تيمية بحق بسبب اتساع عقول أهلها واتساع تصورات هذه العقول .

فاذا جاء اليوم من يشكو من ضيق العربية وعجزها عن استيعاب مصطلحات العلوم والفنون والصناعات الحديثة ، فانا نرد عليه بان هذا المعجز ليس عجزا في اللغة ، وانما هو عجز في عقول ابنائها ، نتج عنه ضيق في اتساع هذه العقول ، وضيق في اتساع تصوراتها . وذلك بسبب زكون هذه العقول الى الكسل ، وكثافتها عن الابداع ، واضرابها عن التدبيرة والمرأة ، وافقارها الى الحياة والحركة ، وافقارها الى الاستقلالية ، وركونها الى التقليد الدليل .

نخرج من كل ما سبق الى القول بأن المزية اللغوية في الاشتقاق وغيره من خصائص العربية الباقية ، هي شاهد لا يكذب على عظمة العقلية العربية واتساعها ورفقها وابداعها ، وهي في نفس الوقت شاهد على ان هذه العقلية قد قطعت قبل الاسلام شوطاً طويلاً في التقدم والرفق عبر الممارسة والدربة والوران الى ان اكتملت فيها هذه الخصائص وتمت فيها هذه القدرات والملكات على أوقافها وانعمها وابدعها من الحظ المقدور للعقل الانساني . وعاء نستطيع القول بأن اللغة العربية هي شاهد تاريخي اوتق من كل الشواهد التاريخية على حضارة اهلها ورفق عقولهم ، وعلينا منذ الان ان نبحث عن حضارة الاسماعيليين في هذه الوثائق اللغوية التي هي اكثر دلالة على العقل من دلالة آثار العمران . لان اللغة هي البيان . ولان البيان هو ترجيح العقل ، الذي ميز الله به الانسان عن سائر المخلوقات ؟ محمد رشاد خليل

مراجع وردت الإشارة إليها في البحث

- ١ — (ابن تيمية) أحمد بن عبد الحلیم ، تقي الدين ، أبو العباس (٦٦١ — ٧٢٨) ١ — موافقة صحيح المقول لصريح المعقول — تحقيق : محيي الدين عبد الحميد ، وحامد الفقي — مطبعة السنة المحمدية : ١٣٧٠ هـ — ١٩٥١ م . ٢ — الرد على المنطقتين — ادارة ترجمة السنة — لاهور باكستان . ١٣٩٦ هـ — ١٩٧٦ م .
- ٢ — (ولفسون) — اسرائيل — تاريخ اللغات السامية — مطبعة الاعناد — القاهرة . ١٩٣٩ .
- ٣ — (كرمل) — اتناس ماري ، الاب — المعجمة العربية على ضوء الثنائية واللسنة السامية — مطبعة الآباء — القدس . ١٩٣٢ م .
- ٤ — (دكتور) — تمام حسان — مناهج البحث في اللغة — الانجلو المصرية — القاهرة . ١٩٥٠ م .
- ٥ — (السوطي) — جلال الدين ، عبد الرحمن (٩١١ هـ) — الزهر في علوم اللغة — الحلبي — القاهرة . ١٩٤٥ م .
- ٦ — (ابن جني) — عياد ، ابو الفتح (٣٩٢ هـ) — الخصائص — اخلال — القاهرة . ١٩١٣ م .
- ٧ — (الأبباري) — عبد الرحمن ، كمال الدين ، أبو البركات (٥٧٧ هـ) — الانصاف في مسائل الخلاف — لندن . ١٩١٣ هـ .

- ٨ — عبدالله أمين . الاشتقاق . لجنة التأليف . القاهرة ١٩٥٦
- ٩ — (دكتور) علي سامي النشار ومناهج البحث عند مشكوى الإسلام دار المعارف مصر . ١٩٦٦
- ١٠ — (دكتور) علي عبد الواحد والفي — اللغة والمجتمع — الحلبي — القاهرة . ١٩٤٦ م .
- ١١ — (سيويه) عمرو بن عثمان بن منير . ابو بشر (— ١٨٠ هـ) — كتاب سيويه — الأميرية — القاهرة . ١٣١٦ هـ .
- ١٢ — (دكتور) فؤاد حسن — تاريخ اللغات السامية — كلية الآداب . جامعة القاهرة .
- ١٣ — (فندريس) ج — اللغة — تعريب الدواخل والنصوص — مكتبة الانجلو المصرية — القاهرة .
- ١٤ — (ابن دريد) محمد عبد الحسن . أبو بكر (— ٣٢١ هـ) — جهرة اللغة . حيدر آباد . ١٣٤٤ هـ .
- ١٥ — (ابن منظور) محمد بن مكرم . جمال الدين (— ٧١١ هـ) — لسان العرب . الأميرية — القاهرة . ١٣٠٠ هـ .
- ١٦ — (الخدالقي) موهوب بن أحمد بن محمد بن الحضرمي . أبو منصور (— ٥٤٠ هـ) — المعرب من الكلام الأعجمي — دار الكتب — القاهرة . ١٣٦١ هـ